المشكلات الذاتية التي تواجه إمام المسجد وسبل معالجتها تربوياً

الدكتور: عبد السلام درداح فالح عودات

الأستاذ المساعد في الدراسات الإسلامية جامعة الجوف / المملكة العربية السعودية /كلية العلوم والآداب طبرجل/ قسم الدراسات الإسلامية

ملخص الدراسة

المشكلات الذاتية التي تواجه إمام المسجد وسبل معالجتها تربوياً

(دراسة تأصيلية دعوية)

هدفت هذه الدراسة لبيان المشكلات الذاتية التي تواجه الإمام، في الجوانب العلمية والنفسية والأخلاقية والاقتصادية، والتي تؤثر على أداء الإمام عمليًا، وهذا البحث يتلمس المشكلات ويُعالجها وفق رؤية تربوية، من شأنها الإسهام في تطوير عمل إمام المسجد حتى يَقوم بعمله على الوجه الأكمل.

وقد توصل البحث إلى النتائج التالية:

١ . بيان المشكلات التي تواجه الإمام، للحذر منها والبعد عن الوقوع بها.

٢ . الكشف عن جوانب المشكلات التربوية من جوانب متعددة، علمية ونفسية وسلوكية، ومذهبية، واقتصادية.

٣ . تقديم رؤية تربوية للإمام لتخطي هذه المشكلات.

ويوصي الباحث ضرورة اهتمام المؤسسات المشرفة على المساجد إيلاء الإمام العناية اللازمة والاهتمام به، وتلمس المشكلات التي تعترضه من أجل الإسهام في حلها ومعالجتها، وتطوير عمل إمام المسجد وقدراته في شتى المجالات.

Problems, Facing the Imam of the Mosque and the Ways to Address them educationally
A Missionary Theoretical Study

This study aims to demonstrate the problems stemming from the Imam himself, vis-a-vis the scientific, psychological, moral and economic aspets, and the practical performance

of the Imam. This research investigates such problems and attempts to deal with them in accordance with the educational vision, which will contribute to the development of the work of the Imam of the mosque, and enable him to do his job to the fullest.

The research has come to the following conclusions:

1- To reveal the problems, facing the Imam, in order to warn against falling into them.

2- To highlight the educational problems from different perspectives, including, the scientific, psychological, behavioral and economic ones.

3- To present an educational vision for the Imam in order to overcome these prob

The researcher recommends that institutions sponsoring and supervising mosques should take great care of Imams and look for the problems they usually have and contribute to their solution. They also have to develop the career and abilities of Imams in all fields.

المقدمة

لقد اقتضت سنة الله تعالى في عباده المؤمنين، وجنده العاملين، أن يواجهوا في طريقهم جملة من المشكلات والمعوقات، وإمام المسجد واحد من هؤلاء الذين يحملون الدين ويتحركون به لإصلاح الناس وهدايتهم وسعادتهم.

فثمة مشكلات دعوية ومعوقات[1] ذاتية منبثقة من طبيعة العمل الدعوي الذي يقوم به، وتبعاته، أو من الإمام نفسه لقصور منه، أو تقصير، إذ هو بشر يعتريه أحوال من الضعف والتراجع، والتقصير، في أداء العمل، وهذه التحديات تؤثر على المنحى العلمي والنفسي والأخلاقي والاقتصادي، وتؤثر على أداء الإمام عمليًا، وتَشل الفاعلية،وتسبب الهزيمة النفسية،وتضعف الالتزام بالجوانب السلوكية.

وهذا البحث يتلمس المشكلات ويُعالجها وفق رؤية تربوية،من شأنها الإسهام في تطوير عمل إمام المسجد الذي يَقوم بمهمة عظيمة، ألا وهي وراثة جهد النبي - ρ - فالإمام يَقوم حيث قام رسول الله - ρ - في محرابه،ومنبره، ودعوته،وأخلاقه،وسيرته.

والمهمة الملقاة على الإمام تنوء الجبال عن حملها، لأنها تتعلق بحمل الأمانة،والقيام بمهمة الإصلاح والتغيير، وهي مهمة الأنبياء دعاة الخير والسعادة للبشرية،وقد ذكر لنا القرآن عن مسيرة الإصلاح والبناء التي قام بها الأنبياء، وحجم المعاناة والمشقة التي تحملوها من اجل هداية البشرية، فلاقوا إعراضًا وعنادًا وصدودًا وتكذيبًا،وأحوال اجتماعية وسلوكية، تحتاج للتبديل والتغيير.

بحيث يُغير الإمام الواقع المعيش ولا يتغير ويؤثر في المجتمع ولا يتأثر،وهذه الأحوال جميعها تتطلب تربية متميزة،ونفسية قوية،لمواجهة هذه المشكلات، حتى يَقوم الإمام بدور طليعي في مجتمعه، داعية ومرب ومصلح، ولعل هذه الدراسة تُسهم في الكشف عن هذه المشكلات، ويُبين سبل الخلاص منها تربويًا.

وقد جاء في خمسة مباحث تتناول المشكلات التي تعتري إمام المسجد على النحو التالي:

([1]) قال ابن منظور في مادة (عوق): "وأصل عاق، عَوَق، قم نقل من فَعَل إلى فَعُلَ، ثم قلبت الواو في فَعُلْتُ ألفاً، فصار عاقت، وعاقه عن الشيء يَعُوقه عَوْق: صرفه وحبسه"، **لسان العرب**، ج١٠ /٢٧٩. فأصل الفعل عَوْق فنقول عوائق أو معوقات.

المبحث الأول: المشكلات العلمية التي تواجه الإمام وسبل معالجتها تربوياً

المبحث الثاني: المشكلات النفسية التي تواجه الإمام وسبل معالجتها تربويا

المبحث الثالث: المشكلات السلوكية التي تواجه الإمام وسبل معالجتها تربويا.

المبحث الرابع: المشكلات المذهبية والحزبية.

المبحث الخامس: المشكلات الاقتصادية التي تواجه الإمام وسبل معالجتها تربويا.

أهداف الدراسة:

١ . بيان المشكلات الذاتية التي تواجه إمام المسجد.

٢ . الإسهام في مواجهة هذه المشكلات ووسائل علاجها تربويًا.

٣ . إيلاء الإمام العناية اللازمة، والاهتمام به، ومعالجة المشاكل التي تعترضه.

٤ . تقديم رؤية معرفية علمية تربوية للإمام حول هذه المشكلات حتى يتجنبها.

٥ . تنبيه الإمام وتحذيره من هذه المشكلات، خشية وقوعه بها، وخطورتها السلبية على فاعلية أدائه الدعوي والإصلاحي.

٦ . مساندة الإمام والجهات المشرفة على الأئمة في تطوير عمل إمام المسجد،ورفع مستوى أدائه، بتخطي العقبات والمؤثرات عليه،والتي تؤثر سلبياً على عمله ورسالته السامية.

مبررات اختيار الدراسة:

١. ندرة الدراسات التي تناولت الموضوع، لا سيما من المنظور التربوي.

٢. حاجة الإمام والمؤسسات المشرفة على الأئمة لمعرفة هذه المشكلات وسبل علاجها من المنظور التربوي.

٣. شعور الباحث بعِظم المعاناة التي تعتري الأئمة في الميدان، استوجب تقديم هذا البحث لرفع كفاءة الإمام، وتحقيق فاعليته في أداء رسالة المسجد.

مشكلة البحث:

الإمام وراث لرسالة النبي ـ ρ ـ، في منبره ومحرابه ودعوته، وهو يقوم بمهام متعددة،الإمامة، والدعوة إلى الله،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس، فهذه الرسالة الإصلاحية تعتريها المشكلات والعقبات الدعوية، كما قرر القران الكريم والسنة النبوية.

فمشكلة الدراسة تتمثل بغياب التصور الصحيح لطبيعة دور الإمام ورسالته،وتبعات عمله من جهة المؤسسات المشرفة على المساجد، وأيضا من جهة الإمام نفسه، إذ وقع الانحراف عند بعض الأئمة في فهم دورهم ورسالتهم، وحجم المشكلات التي تعترضهم.

وعليه فان مشكلة الدراسة تتمثل بالسؤال الآتي:

ما المشكلات الذاتية التي تواجه إمام المسجد وسبل معالجتها تربوياً .

الدراسات السابقة:

لقد ذكر لنا القرآن عن الأنبياء وسيرتهم في الدعوة والإصلاح،وفي مقدمتهم إمام السادة، وسيد الأئمة، رسول الله عليه الصلاة والسلام، وحجم المعاناة والمشقة التي تحملوها من اجل هداية البشرية، فلاقوا إعراضًا وعنادًا وصدودًا وتكذيبًا.

وفي حدود اطلاع الباحث لم يُفرد الموضوع بدراسة مستقلة،وإنما ذَكرت كتب الدعوة، وإعداد الدعاة بصورة عامة ما يعترض الدعاة، ولم تخص الإمام بشيء ، مع العلم أن ثمة خصوص وعموم بين عمل الإمام والدعاة،وثمة انفراد وتشابه كذلك.

محددات الدراسة:

اقتصرت هذه الدراسة على ما يلي:

١. استنباط هذه المشكلات من القران السنة النبوية.

٢. التركيز على الجوانب التربوية،والبعد عن ذكر الخلافات الدعوية أو الفقهية.

٣. التأصيل الشرعي(الدعوي التربوي) برؤية شرعية شاملة.

منهج البحث:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي، من خلال تناول نصوص القران والسنة النبوية في هذا الباب، ثم استنباط الجوانب التربوية منها.

المبحث الأول: المشكلات العلمية التي تواجه الإمام وسبل معالجتها تربوياً

المطلب الأول: تراجع القدرات العلمية:

بين القرآن الكريم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل الله الزيادة إلا من العلم، قال تعالى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) (طه: ١١٤)، ففي الآية إرشاد للتزود من العلم، وطلبه بصورة مستمرة، والقران يؤكد هذا المسلك في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يَسأل إلا الزيادة من العلم، لكونه من المقومات الضرورية للداعية، وحاجة الدعاة إليه في طريق الدعوة، كحاجة الإنسان للماء، فلا حياة بلا ماء، ولا دعوة بلا علم.

فمن الآفات الدعوية قلة البضاعة العلمية، والإمام يُصاب بالفقر العلمي؛ وسبب ذلك أنه يُعطي العلم، ويهمل التزود منه، ثم يصل إلى مرحلة لا يُعطي العلم ولا يأخذه، فيصير عالة على المسجد والمصلين.

وأول مراحل ترك العلم، ترك قراءة القران، التي من شأنها أن تربي المسلمين عامة، والدعاة خاصة على القراءة، وتدربهم عليها، فضلاً عما يُحصله من الزاد الإيماني، والنفسي، وقد دل الهدي النبوي على مقدار الورد اليومي لقراءة القرآن، بحيث لا يقل هذا الورد عن جزء من القران الكريم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لِي رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:(وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ قَالَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ قَالَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَاقْرَأْهُ

فِي كُلِّ عَشْرٍ قَالَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ) [٢].

فمن سبل تخطي هذه المشكلة، ومعالجتها تربوياً:

أولاً: على الصعيد الفردي:

التزام ورد يومي من قراءة القران الكريم، كما دل عليه الحديث السابق؛ لأن القران زاد إيماني وعلمي معرفي،وذلك يتعود القراءة والمطالعة؛ لان السبب الرئيسي لهذا الفقر العلمي قلة القراءة والمطالعة والدراسة، فبزوال أسبابه يزول،بحيث يرتب الإمام وقته، ويخصص لكل يوم فترة للقراءة والمطالعة، سواء من الثقافة العامة، أم من كتب التخصص الشرعي والدعوي،وعليه دوام التزود من العلم؛لان العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك.

ثانياً: على الصعيد المؤسسي:

فاعلية الدور المؤسسي(وزارة الأوقاف والدعوة) المحفز والمنشط، الذي يعمل على خلق حالة من الحراك العلمي الدائم، من خلال عقد الامتحانات السنوية أو النصف سنوية في التفسير والحديث والفقه والحديث الشريف.....الخ.

والتكليف المبرمج ضمن خطة سنوية يمر بها الإمام كل سنة، ففي السنة الأولى من وظيفته يُمتحن مثلاً بكتاب الفقه الميسر في الفقه، وشرح الأربعين النووية في الحديث، وتفسير العشر الأخير من القرآن الكريم من كتاب تفسير مُيسر، وهكذا برنامج علمي لكل عام، يتدرج من السهل إلى الصعب، حتى يطلع على الجوانب الشرعية والدعوية كلها.

المطلب الثاني: اختلال الموازين العلمية في عمله

أولاً: القصور في فهم شمولية الإسلام:

الإسلام دين الوسطية في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، بل في التطبيق، فالإسلام كل متكامل، شامل للدنيا والآخرة، والروح والجسد، وهذا الشمول يُعد من وسطيته، ومن أهم خصائصه.

لقد تعبدنا الله بالإسلام كله، لقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (البقرة:٢٠٨)، قال الإمام الشوكاني . رحمه الله . في تفسيرها:" أي: إلى الإسلام .{وكافة} حال من {السلم}، أو من ضمير المؤمنين، فمعناه على الأوّل: لا يخرج منكم أحد، وعلى الثاني: لا يخرج من أنواع السلم شيء بل ادخلوا فيها جميعاً. أي: في خصال الإسلام، والمراد به هنا: الجميع (ادخلوا فِي السلم كَافَّةً)أي:جميعاً"[٣].

وبما أن الحديث هنا عن الإمام الداعية، فيتوجب عليه فهم الإسلام بشموله، وتجنب اجتزاء العمل الدعوي، وقصره على عنصر دعوى واحد، كأن يهتم الإمام ويركز في عمله على التبليغ وحده أو التعليم أو الجانب السياسي أو التصوف والزهد.

فعمل الإمام الدعوي يقتضي ممارسة كل عناصر الدعوة والتلوين والممازحة بينها، والقيام على كل الجوانب وإعطاءها حقها، ليحقق الإسلام في شموله وتكامله وتوازنه، ويستقطب الجميع لأنه يتحدث باسم الإسلام، دون انحياز لفكر أو توجه دون آخر.

فمن سبل تخطي هذه المشكلة، ومعالجتها تربوياً:

فعلاج هذه المشكلة بالعلم والفهم، وحسن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يقوم على التبليغ والبيان والتعليم والتربية والجهاد بالحجة والبيان والسيف والسنان، وكان مسجده دار حكمة ومعقد رايات الجهاد في سبيل الله تعالى. فإذا أراد الإمام النجاح في أداء عمله، فليحسن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي طبق الإسلام كله في دعوته وعبادته، ومسيرته كلها.

ثانياً: إهمال ترتيب الأولويات:

إن خلالا في ترتيب الأولويات أصاب المسلمين في هذا الزمان لقصور في فهم الإسلام، وأصاب حتى الدعاة والعاملين للإسلام[٥]. فهذا الاختلال مترتب على النقطة السابقة، فمن قَصَرَ من الأئمة عمله الدعوي على عنصر دعوي دون آخر، وقع في الإخلال بترتيب الأولويات.

فإذا بالإمام يُهمل ترتيب الأولويات في عمله، ويركزعلى النوافل أكثر من الفرائض، أو على الصغائر دون الكبائر[٦]. فَضَعُفَ أداء الأئمة، واهتزت صورتهم في نفوس الناس؛ لأنهم يقدمون الهام على الأهم، والأمور التحسينية على الأمور الحاجية الضرورية.

وهذا الضعف في الموازين يُلاحظ في موضوعات الخطب المطروحة، وعناوين الدروس في المساجد، بحيث تجد أحياناً عدم الموازنة بين المقام والمقال والحدث الحديث، فمثلاً: المعركة تدور رحاها وتسقط بغداد والخطيب يتحدث عن آداب الطعام.

بل تجد الخطيب يُعالج مشاكل الحياة معالجة جزئية، فلا يأخذ الموضوع بصورة كلية، ثم يفرع منه القضايا الفرعية والجزئية، فمثلاً: إذا أراد الحديث عن الحدود، يجتزئ الكلام عن العقوبات وفقهها، دون ذكر الإجراءات الوقائية في الإسلام، والأبعاد التربوية من العقوبات، وأثرها الايجابي على أمن المجتمعات، مما يجلي عظمة الإسلام في تشريعاته.

فمن سبل تخطي هذه المشكلة، ومعالجتها تربوياً:

١ . الفهم للإسلام، ومن فَهم الإسلام واطلع عليه، علم أنه كل متكامل، يجمع بين العلم والعقيدة والعمل، والسلوك والمعاملة الطيبة، والخلق الحسن، وإذا انتقص هذا الفهم كانت الأفعال مشوهة، بل ومتناقضة، وقد بين عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما خطورة هذا المسلك،عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نُعْمٍ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ يُصِيبُ الثَّوْبَ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ انْظُرُوا إِلَى هَذَا يَسْأَلُ عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنْ الدُّنْيَا)، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ[٧].

٢ . سعة الاطلاع العلمي والفقهي، والقدرة على ترتيب المشكلات، ووضع أولويات دقيقة، وفهم للإسلام شامل، يؤهل الإمام للحديث في كل مجالات الحياة، والتركيز على الأصول والكليات حتى يجمع ولا يفرق[٨].

ثالثًا: خطأ التصورات في مفهوم العمل المسجدي:

الإمامة لها تبعات دعوية وإصلاحية وعلمية تربوية، وقد قام بها رسولنا- صلى الله عليه وسلم-، وهي مهمة سامية، لكنها تحولت في مفهومها عند بعض الأئمة إلى وظيفة دنيوية يعيش من خلالها أو يتخذها وسيلة لتحقيق مكانة اجتماعية ومظاهر شكلية، أومصالح شخصية، أو حزبية؛ تأثراً بواقع الوظائف الدنيوية الأخرى.

فمن سبل تخطي هذه المشكلة، ومعالجتها تربوياً:

أولاً: علو الهمة وسمو النفس، وعدم الغفلة عن مفهوم الإمامة الحقيقي، والحذر من اتخاذ الإمامة وظيفة للعيش والكسب.

ثانياً: تصور عِظم الأمانة والمسؤولية، لقوله صلى الله عليه وسلم:(كلكم راع ومسئول عن رعيته)، واستشعار الإمام أنه يقوم بوظيفة الرسل الكرام، طمعاً في نيل مرضاة الله وتحصيل عظيم الأجر والثواب، فالإمامة لا تشبه الأعمال الدنيوية التي تحكمها المنافع والمصالح الدنيوية العاجلة، بل هي تطلع لتحقيق الإصلاح في الأمة، وترسيخ مبادئي الإسلام في الحياة، ابتغاء رضوان الله تعالى.

رابعًا: غياب المنهجية العلمية:

الإمام طالب علم، يرتكز علمه على الأدلة من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ويظهر إبداعه في القدرة على تناول الأدلة وعرضها بطريقة سهلة بسيطة تناسب المقام والحدث، وتربي جمهور المسجد تربية متزنة واعية.

فشأن بعض الأئمة عدم القدرة على الاستدلال الصحيح بالأدلة من الكتاب والسنة أو وقوعهم في اللحن الجلي في آيات القرآن الكريم أو الاعتماد على الإسرائيليات والقصص الغريبة، أو ذكر الأحاديث الضعيفة والموضوعة في خطبهم ودروسهم.

فمن سبل تخطي هذه المشكلة، ومعالجتها تربوياً:

١ . ينبغي على الإمام الحرص على الإتيان بالآيات سليمة من اللحن الجلي، وليحذر من الخطأ بتلاوة الآيات، وان لم يكن حافظًا الآية ينبغي عليه كتابتها، وليتجنب ذكر الإسرائيليات، والقصص الغريبة التي تعجب العوام، وتجذبهم، فهذا من تلبيس إبليس على الأئمة والوعاظ، فيظنون أن إقبال العوام على هذه المجالس دلالة تقوى وخير[٩].

٢ . على الإمام أن يجتهد في الاعتماد على الأدلة الصحيحة من كتب السنة المشتهرة، لا سيما الصحيحين، والسنن الأربعة، وينسب الحديث لمظانه، وينبغي الابتعاد عن ذكر الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة، إذ في الصحاح غنية عن ذلك.

المطلب الثالث: عدم الإحاطة بالمقاصد الشرعية والقصور في معرفة القواعد الأصولية

لقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتخاذ رؤوسا جهالاً يفتون بغير علم فقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[١٠].وفي هذا الحديث تحذير صريح من تولية المساجد والتوجيه الإسلامي للجهلة، وإشارة واضحة إلى ضرورة إعداد وتأهيل من يقومون بهذه المهمة الجسيمة والخطيرة، حتى يتمكنوا من القيام بمهمتهم على أحسن وجهه، وحتى لا يفتون بغير علم، أو يضلوا الناس عن الحق البين.

فمن المشكلات التي تشكل تحدياً قويًا مزق صف المسلمين، وفرق كلمة الناس في المساجد، وجود أئمة غير مؤهلين لا يفرقون بين العام والخاص ،ولا يعرفون المحكم من المتشابه، ويستغرقون بالجزئيات والتفاصيل والانشغال عن الكليات، فهذا الخلل في ترتيب الأولويات والانشغال به، يُفرق الأمة، ويعيق النهوض الحضاري، ويوقف مسيرة الأمة نحو التقدم[١١].

فالعلاج التربوي لهذه المشكلة:

يتوجب على الإمام أن يفهم الإسلام فهماً عاماً شاملاً، بحيث يكوّن صورة ذهنية علمية عن طبيعة الدين ومبادئه، وأسسه التي ترتكز على ربانية الإسلام وشموليته ووسطيته وصلاحيته لكل زمان ومكان[١٢].

ويتوجب أيضا فهم مبادئ الإسلام، من التوحيد والإيمان وأركان الإسلام[١٣]، والإحاطة بمقاصد الشريعة الإسلامية وكليات الدين، إذ لا تفهم الشريعة والنصوص من الكتاب والسنة على الوجه الصحيح إلا بمعرفة هذه المقاصد، ثم العمل على ترسيخها وتطبيقها في واقع الناس[١٤].

وفهم الدين يرتكز على فهم القرآن والسنة، ومعرفة حقيقة الدين، ومعرفة الأحكام القطعية والظنية، ومعرفة المتشابهات في القران، والعلم باختلاف معنى النص في اللغة العربية[١٥]، وسعة الصدر للخلاف في الفروع والمسائل العملية، التي لا يترتب على الخلاف فيها إخلالٌ بشيء من دين الله تعالى.

ومن شأن هذا الفهم للإسلام تطهير الفكر بتجلية صورة الإسلام صراط الله المستقيم وتنقيته من شوائب الجهل والعادات والتقاليد، وإزالة كل ما يغشاه من حجب الجمود على القديم.

فالإمام حتى يكون خالص الفكر في تبني الإسلام، والدعوة إليه، والقيام على التغيير والإصلاح الاجتماعي العام، لابد أن يفهم الإسلام فهماً عاماً شاملاً، ويعرف مقاصد الشريعة الإسلامية، وقواعد الأحكام المستمدة من كتاب الله وسنة رسول الكريم- صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني:المشكلات النفسية التي تواجه الإمام وسبل معالجتها تربويا

فالنفس فيها نوازع للخير والشر، لكنها تنزع للشر أكثر، وليس للشر بحد ذاته؛ وإنما لتلبية الشهوات والرغبات التي يتمخض عنها الشر[١٦]، والنفس تحتاج للتهذيب والتقويم لحمايتها من الانحراف أو الانجرار خلف الشهوات، التي تشكل تحدياً كبيراً يحتاج للتربية الوقائية، والعناية المستمرة بتهذيب النفس وتزكيتها.

المطلب الأول: الهزيمة النفسية:

لقد حَرص القران الكريم على نفسية رسول الله صلى الله عليه وسلم الداعية الأول، والشواهد من القران الكريم متوافرة.

فسورة الأنعام عامة فيها تقوية لنفسية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمام هجمات الباطل، وجحوده وتشكيكه، وعززت ثقة الداعية بنفسه وبالحق الذي يَحمله، فمسيرة الباطل واحدة، والتكذيب عبر الزمان للحق والدعوة، لا لحامل الدعوة، فالأنبياء فوق الشبهات؛لكونهم خيرة قومهم نسبًا وخلقاً ومكانة، قال تعالى:(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) (الأنعام:٣٣)،قال ابن كثير:"يقول تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم، في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه:(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ)"(١٧).

فالزمان الذي نعيش غلب فيه الباطل وانتفش، والهجمة على الأمة ومقوماتها الحضارية شرسة، فالخطب جسيم، وقد يَهول الإمام فداحة الخطب، فينهزم نفسياً عن المواجهة ويصاب بالإحباط واليأس والفتور، مما يعني تراجع أداءه وعطاءه.

فمن سبل تخطي هذه المشكلة، ومعالجتها تربوياً:

أولاً: "المسلم ثابت الشخصية، لا تزلزله عواصف الحياة، إنه يستمد ثباته من عقيدته الصحيحة،التي تمنحه القوة والرسوخ، فهو ثابت في كل أحواله"(١٨).

فمن خصائص الداعية قوة النفس، والثبات، والباعث على قوة النفس الإيمان واليقين، قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (السجدة:٢٤) فكلما كان الإيمان عميقا، كانت النفوس ثابتة صلبة، لا تلين ولا تستكين، للتحديات والفتن، ويكتسب الإمام مقومات الشخصية المؤمنة الصلبة من خلال:

١ . تحصيل أسباب قوة الإيمان وزيادته، لما لتأثير الإيمان على النفس، مما يُعين الإمام على تخطي صعوبات عمله، ومواجهة التحديات والفتن.

٢ . العمل على تقوية النفس وبعث كوامن التحدي فيها، بتقوية الإيمان في النفس، وزيادته عن طريق الطاعات والعبادات.

ومما يَدل على أثر الإيمان على قوة النفس قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)

(الحجرات:١٥) وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت:٦٩)."قوله : {والذين جاهدوا} أي أوقعوا الجهاد بغاية جهدهم على ما دل عليه بالمفاعلة {فينا} أي بسبب حقنا ومراقبتنا خاصة بلزوم الطاعات من جهاد الكفار وغيرهم من كل ما ينبغي الجهاد فيه بالقول والفعل في الشدة والرخاء، ومخالفة الهوى عند هجوم الفتن، وشدائد المحن، مستحضرين لعظمتنا " [١٩].

ثانياً : قال تعالى:(وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)(يوسف: ١٢٠)، فمن الوسائل التي شحذ بها القرآن الكريم نَفْس رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذِكر قصص الأنبياء وما واجهوه من عنت وتكذيب، مما يُسلي النفس، ويقوي عزمها النظر في ابتلاءات الأنبياء قبله ومصائبهم مع أقوامهم.

ثالثاً: من خلال استعراض مسيرة الأمة المسلمة عبر تاريخها وصراعها مع الأعداء، فكم من مرة جاء الأعداء في حالات ضعف الأمة من أجل استئصالها، لكنها بحسن التزامها لدينها، ودعوتها إلى ربها تغلبت على ضعفها، وانتصرت على أعدائها[٢٠].

المطلب الثاني: الرياء وحب السمعة:

الإخلاص في الأقوال والأعمال أساس قبولها عند الله تعالى، وصحة الأعمال متوقف على إخلاص النية لله رب العالمين، لقوله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (البينة:٥)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) [٢١] .

وأولى الناس بملازمة الإخلاص إمام المسجد؛ لكونه يتصل بالجماهير، ويقوم بالتوجيه العام، ويظهر أمام الجمهور من خلال خطب الجمعة، ودروس العلم، والمحاضرات، وتلاوة القرآن في الصلاة، لا سيما إن كان حسن الصوت. فهو في مكان متقدم ويشار إليه بالبنان، مما يوجب الحذر من تسلل آفة الرياء وحب السمعة التي تصيب القلوب، لأن أي خلل يطرأ على الإخلاص يحبط العمل ويُفقده العمل أجره وقيمته الشرعية.

فمن سبل تخطي هذه المشكلة، ومعالجتها تربوياً:

أولاً: تحقيق مقام الإخلاص الذي هو أعلى المقامات؛ لان قبول الإعمال متوقف عليه، بدوام تَعاهد القلب وتوجيه الإرادات نحو مقصد إرضاء الله وحده.

ثانياً: تعاهد القلب والحذر من وساوس الشيطان: فإن لم يكن الإمام حذراً، فالساحة مفتوحة لإبليس أن يلبس عليه، بحيث يُدخل إلى قلبه الحرص على رضا الجمهور، وطلب المدح والثناء منهم، أو إظهار الخشوع زيادة على ما في القلب، إذ "كثرة الجماهير والأتباع توجب زيادة تسمح للنفس بإظهار البكاء والخشوع، فمن كان كاذباً خسر الآخرة"(٢٢).

فليحذر الإمام من مداخل إبليس إلى النفس، والتي تنفذ إلى القلب، فتتأثر إرادتة القلبية، فيصرفها لغير الله تعالى، مع أنه لم يكن في الأصل يريد إلا الله تعالى في موقفه وعمله.

المطلب الثالث: ضعف المقاصد التعبدية للإمامة:

إن الدعوة إلى الله تعالى من أجّل الأعمال وأرفع الوظائف التعبدية التي يَقوم بها العبد، فنفعها متعد، وأجرها مستمر، والصق الناس الاطلاع بهذه المهمة، والقيام بها إمام المسجد، فالإمامة ليست وظيفية دنيوية، لتحصيل الراتب والعيش، بل هي وراثة جهد النبي صلى الله عليه وسلم،وحمل للدعوة، وأداء لرسالة ربانية.

فمن أسباب ضعف المقصد التعبدي غياب هذه المعاني عن بعض الأئمة، بسبب ضعف الإيمان والنفس، أو الهزيمة النفسية، أو كثرة ضغوطات الحياة، ويتأثر بالأحوال العامة، ولا يملك القدرة على التغيير فيتراجع، ثم يصير ارتباطه بالعمل مثل أي موظف دنيوي غايته الراتب والمعاش، بعيداً عن الارتباط التعبدي والدعوي الإصلاحي لعمله.

فإذا بمشاعره تتحول من كونه يؤدي عملاً، يحمل طابعاً دعوياً إيمانيا إلى موظف يعيش بعمله، كشأن باقي الموظفين الذين ينظرون للوظيفة نظرة دنيوية مجردة، والإمام الذي يتسلل إليه هذا المرض يقتله الروتين الوظيفي، ويداخله الملل، ثم يؤدي عمله بالحد الأدنى، دونما نشاط وحيوية، أو حركة وفاعلية، فيكون ما أفسده أكثر مما أصلحه.

فالأنبياء جميعًا تجردت دعوتهم عن نيل المكاسب الدنيوية،قال تعالى: (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الشعراء:١٠٩)، وهذه مقالة نوح عليه الصلاة والسلام وسائر الأنبياء من بعده؛ لان العمل مع الله تعالى أعظم من الحسابات الدنيوية،لقوله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (فصلت:٣٣)،فالأجر عظيم، والثواب كبير.

فمن سبل تخطي هذه المشكلة، ومعالجتها تربوياً:

أولاً: تعاهد المعاني والأهداف السامية للدعوة، وبقائها قريبة من عقله وقلبه، حتى لا يتحول عمله لوظيفية دنيوية يعيش بها، فيتأثر سلوكه العام، فيضعف حمله لأعباء الإمامة، ومقاصدها، ورسالتها وغايتها.

ثانياً: استشعار الإمام المسؤولية العظيمة التي ألقيت عليه؛ لعظم متعلقاتها، والتي تفرض عليه دوام محاسبة نفسه، والمراجعة ونقد الذات، والخوف المستمر من الله تعالى خشية التقصير في أداء عمله.

ثالثًا: التزود بزاد الإيمان واليقين، والذي يبدأ بتعاهد النية وصلاحها، والحرص على زيادة الإيمان، بدوام الأعمال الصالحة، والإكثار من العبادة، حتى تصلح التوجهات والمقاصد.

المطلب الرابع: اليأس والفتور:

الأمة تعيش حالة من التراجع، والانكسار الحضاري؛بسبب بعدها عن الله تعالى، فالواقع المعيش أصابه الخلل في جوانب عدة، والأمة تعيش في حالة الانكسار والتراجع لأسباب منه:

١. التقصير في الالتزام الشرعي الصحيح.
٢. التخاذل عن الدعوة إلى الله، جهد الأنبياء .
٣. ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أساس خيرية الأمة.
٤. التأثر بالواقع المخالف للقران والسنة.

فالمعاناة حجمها كبير، والأمة تعيش فترة انكسار وتراجع، ولعل هذا الواقع ينشئ في النفس الانكسار واليأس والتراجع، والهزيمة وترك واجبات الإصلاح والدعوة والبلاغ، فالمنهزمون قومٌ استعجلوا الطريق واستبطئوا النصر وفاتهم الصبر.

فمن سبل تخطي هذه المشكلة، ومعالجتها تربوياً:

أولاً . قراءة القران الكريم والنظر في تاريخ الدعوة عبر مسيرتها الطويلة،فلا يستغني أي داعية أو مصلح عن النظر في القران، وتدبره وتأمله،ففيه نتأمل مسيرة الحضارات ونهوضها، وخط سيرها وتقدمها وأسباب قوتها،وأسباب ضعفها وسقوطها وأسباب زوالها، وطغيانها، وفسادها، وصراعها مع الحق، ومعجزة القران في الأخبار التاريخية، أنه ترجم لنا كل ذلك، فَذَكَر نماذج من الحضارات التي سادت ثم بادت، حيث اقتضت سنة الله تعالى أن الغلبة للحق وأهله، وأن الاندحار للباطل وأهله، ونصر الله للمؤمنين لا يتخلف.

ثانياً . الوعد الإلهي بنصر جنده وعباده المخلصين، وهي مبشرات من كتاب الله وسنة رسوله الكريم . صلى الله عليه وسلم، تطمئن النفس؛ بأن العاقبة للمتقين، وأن الله ناصر جنده، ومظهر دينه، لقوله تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الأنبياء:١٠٥)،وقال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (النور:٥٥)

فلم يسجل التاريخ والواقع أن جهد المصلحين ذهب سُدى، فلكل داعية أثر، قلَّ أو كَثُرَ، ومن رحمة الله تعالى بنا لم يطالبنا بالنتائج، بل أمرنا بالعمل والدعوة والبلاغ، فقال تعالى:(وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)(العنكبوت:١٨)

ثالثًا: استلهام الدروس والعبر من السيرة النبوية وفقهها، فتأمل السيرة له الأثر البالغ في رفع الروح المعنوية، واستنهاض الهمم. فقد بدأ رسولنا صلى الله عليه وسلم في مكة وحده، وواجه الشرك والباطل، بقوة الإيمان واليقين، وما هي إلا سنوات من الدعوة والجهد المتواصل، لم يعتريه اليأس والملل، وإذا به يغير الواقع، وتدخل الجزيرة العربية في دين الله أفواجا.

المبحث الثالث: المشكلات السلوكية التي تواجه الإمام وسبل معالجتها تربويا.

إن أحوال المجتمع عامة والقيم والعادات السائدة لها أثر سلبي أو إيجابي على الفرد والجماعة، والإمام فرد من المجتمع، فإذا كانت توجهات المجتمع عامة تنطلق من الإسلام وقيمه فإنها تساعد على حسن الالتزام، والعكس صحيح.

والإمام ليس بمعصوم عن الخطأ، فهو بشر، لكنّ هذا لا يبرر له الإمعان في الأخطاء، أو التصرفات السيئة التي تصد الناس عن سبيل الله تعالى؛ لأنه يترتب على أخطائه السلوكية آثار سلبية على جمهور مسجده، لكونه يحمل لواء الإصلاح والتوجيه والتربية، وهذا يفرضُ على الإمام الحرص الشديد على تصرفاته، فيحذر من سلبيات السلوك، ومنها ما يلي:

المطلب الأول: ضعف الالتزام الأخلاقي:

من الأمراض التي تصيب الدعاة والأئمة، ضعف الالتزام بالأخلاق، وذلك لضعف الإيمان في النفس، وإهمال التربية الأخلاقية، وغياب الممارسة المستمرة للآداب والأخلاق.

فالإمام صورة للإسلام وآدابه، وهو محل قدوة للناس، بل تصرفاته ذات أثر ايجابي أو سلبي على جمهور مسجده. فسلوكه الحسن يُمثل قدوة حسنة للناس، وفي المقابل سلوكه السيئ يعني تشويه صورة الإسلام، وتنفير الناس من الدين، وهدم المثل الرفيعة،"وليست قيمة الإنسان فيما يصل إليه من حقائق وما يهتدي إليه من أفكار سامية، ولكن في أن تكون الأفكار السامية هي نفسه، وهي عمله، وهي حياته الخارجية كما هي حياته الداخلية"[٢٣].

فمن سبل تخطي هذه المشكلة، ومعالجتها تربوياً:

أولاً . استشعار عِظم المكانة، لقد تبوأ الإمام مكان سامٍ وعظيم، يفرض عليه العناية والحذر، فيعتني بسلوكه وتقويم أخلاقه، وليحذر من تصرفاته، فكل خطوة محسوبة عليه،"فوجود النماذج البشرية المتكاملة، وقيامها أمام الناس في شتى مراحل الحياة النامية، يعتبر من أنجع الطرق التربوية في مجالات الحياة السلوكية والانفعالية والعلمية والاجتماعية"[٢٤].

ثانياً: معرفة آثار السلوكيات السيئة، وخطورة ضعف الالتزام الأخلاقي، ومن أعظمها خطراً، أنه يصبح قدوة في السوء، إذ يَتحرز الناس من الاستماع له، ولا يكترثون لما يقول، ويزهدون بسماع خطبه ودروسه ومواعظه، فسلوكه السيئ يكون سببًا في صد الناس عن الحق.

ثالثاً: تتبع سير العلماء المصلحين، والاقتداء بهم، واتخاذ القدوة من العلماء العاملين.

رابعاً: مصاحبة أهل الصلاح، وأصحاب السلوك الحسن،"فالرفقة الحسنة لها تأثير ايجابي على الإنسان؛ لان الفرد يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها، فمعاشرة الأبرار الأخيار تكسب الفرد طباعهم وسلوكهم "[٢٥].

خامساً: محاسبة النفس وتقويم السلوك بشكل مستمر.

المطلب الثاني:مخالفته للمبادئ(مخالفة الأقوال الأفعال):

لقد حذرنا القران الكريم من هذا المسلك القبيح، فقال تعالى:(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (البقرة:٤٤)،بل ذم القران هذا المسلك وعظم من شأنه تنفيرًا منه، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (الصف: ٢و٣).

ينبغي على الإمام أن يرسخ في تصرفاته، وأحواله مبادئ الإسلام واقعيًا عمليًا في حركته وتصرفه وأحواله كلها، فيحرص على الإخلاص والأمانة والصدق والوفاء، وحفظ العهد، وأن يطابق قوله فعله.

فالإمام الذي لا يخلص في عمله، كيف يكون تقياً؟ والإمام الذي يغيب عن مسجده بلا سبب، كيف يكون أميناً؟ والإمام الذي يخالف قوله فعله، ولا يطبق ما يقول، كيف يكون صادقاً؟ فلسان حاله يقول: "خذو من أقوالي ولا تأخذوا من أفعالي".

فمن سبل تخطي هذه المشكلة، ومعالجتها تربوياً:

أولا: استحضار عظمة الأمانة والمسؤولية،فيحرص على موافقة أفعاله لأقواله، لما يترتب من ضرر مخالفة الأفعال الأقوال من الإمام، ومن مثله ممن هم محل الإتباع والاقتداء.

ثانياً: معرفة خطورة الانحراف وأثاره التربوية السلبية على جمهور المسجد، بل يجب أن يتصور حجم الضرر الناتج من هذه الظاهرة على الدين.

ثالثاً: خشية الله في السر والعلن، وابتغاء الله والدار الآخرة، التي تبعث على أداء الأعمال، وإتقانها وتحسينها، والحرص على نقاء الصورة والسريرة، في السر والعلن.

المبحث الرابع: مشكلة التعصب المذهبي وتعدد الحركات الإسلامية والتحيز للحزب:

أولاً: التعصب للمذهب:

إن الإسلام يقوم على أصول وكليات، لا يُعذر أحد بتركها أو مخالفتها، ولا يُقبل فيها الخلاف أو تعدد الآراء، وهي تختلف عن الجزئيات والمسائل الفرعية، التي تتعدد فيها الآراء وتختلف فيها وجهات النظر، لاعتبارات متعددة منها اختلاف فهم الدليل، وغير ذلك مما ذكره العلماء في أسباب الاختلاف[٢٦]. والأصل أن يكون الاختلاف الفقهي، ظاهرة علمية عقلية تدل على الوعي والنشاط الفكري، لا أن تكون سبباً في تمزيق الأمة وتفريقها، وبث الفرقة بينها.

فإذا صارت المساجد ساحة للمهاترات الحزبية، وبث الخلافات الفقهية في الفروع، والتنازع عليها إلى حد التشدد واتهام الآخرين، فهذا من شر ما تبتلى به الأمة. فبدل أن تكون وجهات النظر وتعدد الآراء توسعة، صارت شراً وبلاءً على المسلمين، يتناحرون في المساجد، التي في الأصل أن تجمع المسلمين وتوحدهم، لكنهم تخاصموا وتفرقوا، وشكل هذا عبئاً كبيراً على أئمة المساجد الذين يحرصون على جمع الكلمة ووحدة الصف ولمّ الشمل.

فمن المشكلات التي تشكل تحدياً قويًا مزق صف المسلمين، وشوش اجتماع كلمة الناس في المساجد، الاستغراق بالجزئيات والتفاصيل والانشغال عن الكليات، وتقديم النوافل على الفرائض، فهذا الخلل في ترتيب الأولويات والانشغال به، يُفرق الأمة، ويعيق النهوض الحضاري، ويوقف مسيرة الأمة نحو التقدم[٢٢]. فَجَعَل الخلاف في الرأي يُفسد الود عمل يخالف طريقة أئمة الاجتهاد، الذين كانوا لا يرون قداسة لأرائهم، وكانوا يعتقدون بأن آراءهم اجتهادات عرضة للصواب والخطأ[٢٨].

أما التعصب المذهبي، فهو مرض، يُصيب بعض المصلين أو العاملين في المساجد، يُدل على الجمود العقلي والتقليد الممقوت، الذي قسم الأمة شيعاً وطوائف متعددة، وساء ظن المسلم بأخيه لقضية علمية خفيفة الوزن، وربما رفض الصلاة خلفه[٢٩]. ولو نظرنا لما قيل، لا لمن قال، لما كان تقديس لرأي أو شخص أو تعصب، إذ الأقوال يحتج لها ولا يحتج بها، وهذا يُعبر عن إنصاف الفكر الإسلامي وموضوعيته، فالبشر يقولون أراء منها الصواب ومنها الخطأ، فالميل إلى القائل بإطلاقٍ غلو وإفراط يأباه الشرع، الذي قرر أن العصمة للنبي صلى الله عليه وسلم[٣٠].

فالتعصب للمذهب ظاهرة تمزق صف الأمة؛ لأن المنحاز لمذهب فقهي قد يصل به الأمر إلى التعصب المذموم، الذي يضفي العصمة على المذهب، والقداسة للإمام، ويوجب تقليد الإمام، ومتابعة مذهب من المذاهب الأربعة، والقول لمن اتبع مذهباً بعدم الخروج منه.، بل اتهام المخالف وتفسيقه أو تكفيره.

وهذا خلاف طريقة المحققين من علماء السلف ، الذين يدورون مع الدليل ويتركون مذهبهم، ويرجحون غيره، إذا تبين قوة دليل المخالف، وضعف حجة المذهب، فنجد ابن العربي المالكي يرجح مذهب أبي حنيفة في القول بوجوب الزكاة في كل ما أخرجت الأرض[٣١]، وترجيح الإمام النووي صوم الولي ــ عن قريبه الميت ــ على الكفارة للدليل على خلاف مذهب الشافعي[٣٢].

فمن الوسائل التربوية لعلاج هذه المعضلة:

أ- معرفة أسباب اختلاف الفقهاء[٣٣].

ب- معرفة أدب الخلاف[٣٤].

ج- سعة العلم، فكلما كثر علم الرجل، قل خلافه؛ لأنه يعرف مسوغات آراء الآخرين، ويصير بصيراً بمواضع الاختلاف، وعن قتادة: من لم يعرف الاختلاف لم يُشم الفقه أنفه[٣٥].

د- معرفة قدر المذاهب وآثارها على الفقه وعلى الأمة، فالمذاهب الفقهية تشكل اجتهاداً في الشريعة كلها، وتعتبر ثروة تشريعية وحقوقية عظيمة. وهي مزية للأمة الإسلامية، تدل

على عمق النظر وسعة أفق الفقهاء، الذين طبقوا الكليات على الفروع، وأصدروا حكماً وتشريعاً لكل مسألة، يحتاج إليها الناس في العبادات والأحوال الشخصية والمعاملات والأحكام السلطانية والحدود والعلاقات الخارجية والآداب والأخلاق، واستنبطوا هذه الأحكام من القرآن والسنة اللذين هما مصدر التشريع الإسلامي[٣٦].

هـ- التزام أخلاقيات التحرر من التعصب المذهبي: ومنها: النظر للقول ونقده في ضوء الموازين العلمية، والتحلي بشجاعة نقد الذات، والاعتراف بالخطأ، بعيدًا عن النظر لصاحب القول، وعدم التعصب للأشخاص،بل يجب أن يكون الحق وجهتنا، ومن عرف الحق تحراه .

ثانيا: تعدد الجماعات الإسلامية والتحزب:

المساجد ـ بيوت الله ـ محل اجتماع المسلمين ووحدتهم، واجتماع كلمتهم، فلا يجوز أن تكون المساجد خلاف ذلك، وعلى الإمام أن يجمع ولا يفرق وينبغي عليه البعد عن كل ما يشق الصف والوحدة، ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه يستحب من الإمام ترك اختياراته الفقهية ومذهبه؛لأجل الاتفاق وتأليف قلوبهم ، فقال رحمه الله: وَلَوْ كَانَ الْإِمَامُ يَرَى اسْتِحْبَابَ شَيْءٍ، وَالْمَأْمُومُونَ لَا يَسْتَحِبُّونَهُ، فَتَرَكَهُ لِأَجْلِ الِاتِّفَاقِ وَالِائْتِلَافِ: كَانَ قَدْ أَحْسَنَ

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ: {لَوْلَا أَنَّ قَوْمَك حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَنَقَضْت الْكَعْبَةَ، وَلَأَلْصَقْتهَا بِالْأَرْضِ؛ وَلَجَعَلْت لَهَا بَابَيْنِ، بَابًا يَدْخُلُ النَّاسُ مِنْهُ، وَبَابًا يَخْرُجُونَ مِنْهُ}.فَتَرَكَ الْأَفْضَلَ عِنْدَهُ ؛ لِئَلَّا يَنْفِرَ النَّاسُ "[٣٧].

فعلى الإمام أن يجنب المسجد أرائه الحزبية،أو تحيزه لفكر جماعة دون غيرها، وأن يدور مع الكتاب والسنة،من الاجتماع والوحدة، وتأليف القلوب.

فتعدد الحركات الإسلامية، أفضت إلى ظاهرة التعددية الكثيرة، والتي خلفت آفات كثيرة كالتعصب للحزب أو الجماعة ومن ثم اتهام الآخرين ووصفهم بالفسق أو تكفيرهم أو التطاحن والتشكيك مما يؤدي إلى هدر الطاقات وتضييع الأوقات[٣٨].

وهذه الجماعات والأحزاب شكلت عبئًا على المساجد،أفضى إلى الخلاف والتناحر،والأمر يزداد خطورة إذا تبنى إمام المسجد توجهًا أو لونًا بعينه، ودعى إليه، وتعصب له؛ فانه سوف ينحاز لموقف هذا الحزب والجماعة؛ مما يؤدي لحدوث الاختلاف في المساجد والفرقة.

فمن وسائل العلاج التربوي هنا:

يتوجب على الإمام أن يكون لكل المسلمين،كالأم يجمع ولا يفرق، يجمعهم جميعا، بفهم عام للإسلام ، دون الانحياز لفكر حزب أو جماعة، حتى يكون المسجد للمسلمين جميعًا، وأن يتجنب إلزامهم بفكر ما أو حزب معين ، وإنما يعلمهم الإسلام بشموله ووسطيته واعتداله، وسعته للجميع.

المبحث الخامس: المشكلات الاقتصادية التي تواجه الإمام وسبل معالجتها تربويا.

المطلب الأول: قلة ذات اليد:

من المشكلات التي يعاني منها الأئمة، قلة الدخل المالي، فلا يسعهم القيام بالأشغال الدنيوية؛ وذلك لأسباب متعددة: شرف الإمامة، وضيق الوقت عن مزاولة الكسب الدنيوي، وسوء نظرة المجتمع للإمام الذي يقوم بعمل دنيوي آخر(هذا في البلاد التي جُعلت فيها الإمامة وظيفة مستقلة من الوظائف العامة في الدولة)، وهذا اعتبار نفسي واجتماعي، حيث يحرص الإمام على جمال صورته والحفاظ على كرامته، وصيانة نفسه أمام العوام[٣٩].

إلا أن بعض الأئمة يرى أن العمل الدنيوي الآخر فيه حفظ الكرامة، فالدخل قليل، والضغوطات المالية كبيرة، فقام بالعمل من باب حفظ كرامته، وسد خلته، فيستغني بذلك عن الناس ويصون نفسه، فلا يمد يده للأغنياء.

وهذه المشكلة قديمة حديثة وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إليها، وإلى أسبابها، فعقد فصلاً ذكر فيه أن القائمين الإمامة والخطابة ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب، وسبب ذلك أن الكسب قيمة الأعمال، وأنها متفاوتة بحسب الحاجة إليها، وأهل هذه الصناعة الدينية لا تُضطر إليهم عامة الخلق؛ وإنما يحتاج إلى ما عندهم الخواص ممن أقبل على دينه[٤٠]"

لكن ينبغي أن يحرص الأئمة على سمعتهم، وأن يحافظوا على مكانتهم وكرامتهم، وقدسية عملهم، ويجب عليهم صيانة الإمامة وأنفسهم من الدنايا، وما لا يُليق بهم، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه(٤١).

فمن سبل تخطي هذه المشكلة، ومعالجتها تربوياً:

أولاً: معرفة هوان الدنيا، وزوال لذاتها، مما يولد في النفس الزهد في الدنيا، والابتعاد عن التهالك عليها وعلى حطامها.

ثانياً: الاقتداء بالأنبياء والمرسلين والصالحين(٤٢)، والوقوف على سيرة سيد المرسلين الذي كان إمام الزاهدين، والذي كان يقول: "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا"(٤٣)، ومعنى الحديث كما قال النووي: "القوت ما يسد الرمق وفيه فضيلة التقلل من الدنيا، والاقتصار على القوت منها والدعاء بذلك"(٤٤).

ثالثاً: الحرص على الطاعة والعبودية، وتحرى الحلال في المطعم والمشرب، مما يُدخل البركة على البيت وأهله، فيجعل الله من القليل كثيراً، وفي الدعاء:(وبارك لي فيما أعطيت)(٤٥).

الخاتمة

أولاً ـ النتائج: توصل الباحث من خلال البحث إلى نتائج عِدة منها:

ـ بيان المشكلات التي تواجه الإمام، للحذر منها والبعد عن الوقوع بها.

ـ تلمس المشكلات التي تعترض الإمام في عمله بيان طرق معالجتها وفق رؤية تربوية من منظور شرعي، من شأنها الإسهام في تطوير عمل إمام المسجد الذي يَقوم بمهمة عظيم.

ـ الكشف عن جوانب المشكلات التربوية التي تواجه الإمام، وتمثلت بجوانب متعددة علمية ونفسية وسلوكية، ومذهبية، واقتصادية.

ـ تقديم رؤية تربوية للإمام لتخطي هذه المشكلات والحذر منها.

ـ معرفة حجم المهمة الملقاة على الإمام تنوء الجبال عن حملها، لأنها تتعلق بحمل الأمانة،والقيام بمهمة الإصلاح والتغيير، وهي مهمة الأنبياء والرسل عيهم الصلاة والسلام.

ـ ترسيخ دعائم ومقومات تُعين الإمام على انجاح مهمته، بحيث يُغير الإمام الواقع المعيش ولا يتغير ويؤثر في المجتمع ولا يتأثر.

ـ ابراز أثر المكونات التربوية على أداء الإمام، ومهمته الاصلاحية والدعوية، وجميعها تتطلب تربية متميزة، ونفسية قوية،لمواجهة هذه المشكلات، حتى يَقوم الإمام بدور طليعي في مجتمعه، داعية ومرب ومصلح.

ـ تحديد المشكلات العلمية والنفسية والسلوكية والمذهبية والحزبية والاقتصادية التي تواجه الإمام وسبل معالجتها تربوياً.

ـ بيان دور الجهات الرسمية المشرفة على المساجد في مواجهة المشكلات التي تعترض الأئمة وتقديم طرق حلها وعلاجها.

ـ تقديم رؤية عن المشكلات التي تعترض الإمام للمؤسسات المشرفة على المساجد، وبيان علاجها تربوياً.

ثانياً ـ التوصيات:

عقب الانتهاء من هذه الدراسة يوصي الباحث بجملة من التوصيات، وهي:

ـ ضرورة اهتمام المؤسسات المشرفة على المساجد بتلمس هذه المشكلات من أجل الإسهام في حلها، وتطوير عمل إمام المسجد باستمرار لتخطيها.

ـ قيام المؤسسات المشرفة على المساجد بإعداد برامج سنوية ، ذات جوانب علمية وتربوية وفنية لتعزيز عمل الإمام وتطوير قدراتها في شتى المجالات.

ـ ضرورة قيام الجهات الرسمية المشرفة على المساجد الاهتمام بالإمام إيلاء الإمام العناية اللازمة، والاهتمام به، ومعالجة المشاكل التربوية التي تعترضه.

ـ يتوجب على الإمام الاهتمام بتطوير قدراته المعرفية والعلمية، ومعرفة المشكلات الذاتية التي تعترضه ، وتوخي سُبل علاجها والتعافي منها .

ـ تلمس حاجات الأئمة ومعرفة المعاناة التي تعتريهم في الميدان، يستوجب تقديم دورات متعدد الجوانب لرفع كفاءة الإمام، وتحقيق فاعليته في أداء رسالة المسجد.

ـ على الإمام أن يُجنب المسجد عن التعصب المذهبي، والمحاصصة الحزبية، ويحرص على جمع الكلمة ووحدة الصف، وتنقية المسجد من عناصر التفرقة والانقسام.

ـ الإمام وارث جهد النبي في منبره ومحرابه، يتوجب عليه صيانة المكانة والمكان عما يُدنسها أو يُسيء لها.

ـ صيانة نفسه عن لغو الناس ولغطهم ونقدهم؛ وذلك بتجنب السلوكات التي تُزري به وتنقص من قدره في عيون جمهور المسجد.

ـ ينبغي على المؤسسات المشرفة على المساجد تولية القيام على الإمام لمن يحمل مؤهلات شرعية، وضرورة اشراك مدرسي الجامعات بهذه المهمة، لرفد المساجد بالكفاءات العلمية والقامات الدعوية التي تفعل رسالة المسجد.

ـ نوصي الأئمة بتقوى الله، واتخاذ العمل في اطاره التعبدي، والاقتداء بإمام الأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والحرص على الكسب الحلال، وتحرى المطعم والمشرب الحلال، مما يُدخل البركة على البيت وأهله، فيجعل الله من القليل كثيراً.

الهوامـش:

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت،(د . ط)،ج١٠/٢٧٩.

(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، (د.ط) (د.س)، كتاب الصوم، باب النهي عن صوم الدهر، برقم(١٩٦٣)، ج٦/٤١.

(٣) الغزالي، الإمام أبو حامد محمد الغزالي(ت:٥٠٥ هـ)،إحياء علوم الدين،دار الفجر، القاهرة،ط١ ،١٤٢٠ هـ .١٩٩٩م،ج١/٧٧،وانظر:النحلاوي،عبد الرحمن،أصول التربية الإسلامية وأساليبها(في البيت والمدرسة والمجتمع)، دارالفكر، دمشق، ط٢، ١٤١٧هـ \.١٩٩٦م، ص١٧٣(بنحوه).

(٤) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت: ١٢٥٠هـ)،فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية،دار الكتب العلمية، بيروت،ط٣، ١٤٢٨ . ٢٠٠٧م،ج١/١٧٢.

(٥) بني عامر، محمد أمين، أساليب الدعوة والإرشاد . الدعوة، الداعية، المدعو . مركز الكناري اربد/ الأردن، ط١، ١٩٩٩م، ص ١٧٥.

(٦) بني عامر، محمد أمين، أساليب الدعوة والإرشاد . الدعوة، الداعية، المدعو . مركز الكناري اربد/ الأردن، ط١، ١٩٩٩م، ص ١٥٧ ،بني عامر، محمد، المدخل إلى الدعوة والإعلام الإسلامي، دار لأمل، اربد . الأردن، ط١٤٢٣،١هـ-٢٠٠٣م، ص ١٢٧.

(٧) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، دار الفكر للطباعة والنشر، (د. م)،(د.ط)، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين،برقم(٣٧٠٣)،ج٤/٢٤٠.

(٨) شريفين، عماد (وآخرون)، المدخل إلى التربية الإسلامية، عالم الكتب الحديث، اربد . الأردن،ط١،٢٠١٢م، ص١٠٧(بتصرف).

(٩) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص١٣٩.

(١٠) مسلم، صحيح مسلم، ج /، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه برقم( )

(١١) علي، سعيد،أصول التربية الإسلامية، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م،ص٣١٦ ،بتصرف.

(١٢) بادحدح، علي، مقومات الداعية الناجح، دار الأندلس الخضراء، جدة- السعودية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص١٢٩ وما بعدها.

(١٣) عودة، سلمان بن فهد، من أخلاق الداعية، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١١هـ، ص٧.

(١٤) زيدان، عبد الكريم، الوجيز في أصول الفقه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، ص٣٧٨، وانظر: النجار، عبد المجيد، في فقه التدين فهما وتنزيلاً، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، ط١، ١٤١٠هـ، ص٧٩.

(١٥) النجار، ص٧٩ وما بعدها

(١٦)القيسي، مروان، المدخل إلى علم النفس في الإسلام، (د. ن)، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م،ص٧١(بتصرف)،انظر: الأسمر،احمد رجب،فلسفة التربية الإسلامية(انتماء وارتقاء)،دار الفرقان،عمان . الأردن،ط١ ،١٤١٧هـ . ١٩٩٧م،ص١٥٧(بنحوه)،وانظر: طحان، مصطفى محمد،التربية ودورها في تشكيل السلوك، دار العلوم للنشر والتوزيع، الكويت،ط١،١٤٢٣ هـ .٢٠٠٢م،ص٥٨(بنحوه).

(١٧) ابن كثير(ت:٧٧٤)، تفسير القران العظيم، دار الفيحاء، دمشق،ط٢، ١٤١٨.١٩٩٨م،ج٢/٦٢٨.

(١٨)هاشم، احمد عمر، الإسلام وبناء الشخصية،عالم الكتب،بيروت،ط٢،١٤١٧هـ .١٩٩٧م،ص٥٠.

(١٩) البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر(ت: ٨٨٥)،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،دار الكتب العلمية، لبنان . بيروت، ط٣، ١٤٢٧ . ٢٠٠٦م ج٥/، ٥٨٠.

(٢٠) حداد،محمد بشير، الدعوة والإصلاح ،دار خوارزم العلمية،جدة . السعودية،ط٢ ،١٤٣٠ هـ.٢٠٠٩م، ص٦٢٧، بتصرف.

(٢١) البخاري، محمد بن إسماعيل بن، الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م، كتاب بدء الوحي، باب كيف كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، برقم(١)، ج١/١.

(٢٢) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص١٣٩.

(٢٣) الغزالي، محمد، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، ص١١٤.

(٢٥) طحان،ص ١٦٦، وانظر: خطاطبة، عدنان، أخلاق الداعية في الإسلام وتطبيقاتها التربوية،عالم الكتب الحديث، اربد . الأردن،ط١ ،٢٠١٣م، ص٨٧(بنحوه) .

(٢٦)الثقفي، سالم، أسباب اختلاف الفقهاء، دار البيان للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م،ص١٤٧.

(٢٧) علي، أصول التربية الإسلامية، ص٣٠٧.

(٢٨)الثقفي، ص، ٣١٦

(٢٩) الشاعر، احمد، التحديات المعاصرة في مواجهة الإسلام، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م ،ص،٣٠٦.

(٣٠) الشلي، نوّار، فقه التوسط (مقاربة التقعيد وضبط الوسطية)، وزارة الأوقاف، قطر، (سلسلة كتاب الأمة (العدد ١٢٩)، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م،ص،١٣٧ .

(٣١)الثقفي، ص،٥٠٨

(٣٢)عباس، فضل، التبيان والإتحاف في أحكام الصيام والاعتكاف، دار الفرقان، عمان- الأردن، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م ، ص، ١٣١.

(٣٣) العلواني، طه جابر، أدب الاختلاف في الإسلام ، الدوحة ، وزارة الأوقاف . سلسلة الأمة العدد (٩) ، ١٤٠٥هـ ، ص ،١٦٧.

(٣٤)المرجع السابق،ص، ١٦٧.

(٣٥)الثقفي، ص١٩

(٣٦) المرجع السابق، ص ٥١٠ ، وانظر ، البغا، مصطفى وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م .

(٣٧)ابن تيمية، أحمد، مجموع الفتاوى الكبرى، دار الوفاء، المنصورة . مصر، ط ١، ١٤١٨هـ. ١٩٩٧م، ج١/١١٧..

(٣٨)بني عامر، محمد، المدخل إلى الدعوة والإعلام الإسلامي، دار الأمل، اربد- الأردن، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ص ٩٢..

(٣٩) محجوب، عباس، أصول الفكر التربوي الإسلامي ،دار ابن كثير ، دمشق ، (د.ط) (د.س)،ص١٦٤.

(٤٠)ابن خلدون، المقدمة، ص٤٣٠.

(٤١) العجلوني،إسماعيل، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، (د .ط) (د .س)، ج٢/٢٣٨، وقال رواه احمد مرفوعاً.

(٤٢) انظر: أبو غده، عبد الفتاح،مكتب المطبوعات الإسلامية، دمشق،ط٣ ، ١٤١٣ هـ .١٩٩٢م، صفحات من صبر العلماء، ص١٤٥، حيث عقد فصلاً عن صبر العلماء على الفقر وشظف العيش.

(٤٣) مسلم، الصحيح، ج، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر والقناعة، برقم ( ).

(٤٤) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٤٦/٧.

(٤٥) النووي، النووي، الأذكار، تحقيق أحمد حموش، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م، ص١١٥